مفاوضات عرفات مع واشنطن في صيف 1982

أسعد أبو خليك *

لم يكن صيف 1982 صيفاً عاديّاً في تاريخ القضيّة الفلسطينيّة، لا بل في تاريخ العالم العربي المعاصر. تلاقت مؤامرات عربيّة وإسرائيليّة وغربيّة عدة كي تجهض حركة المقاومة الفلسطينيّة وكي تفرض نظام «كامب ديفيد» على كل العالم العربي. في هذا الصيف، الذي زاد في حرارته انقطاع المياه والكهرباء بفعل الحصار الإسرائيلي ـ القوّاتي على بيروت الغربيّة، تقرّر أن تقود مصر ـ «كامب ديفيد» العالم العربي. أصبح حسني مبارك الوكيل الشرعي والوحيد للهيمنة الأميركيّة في المنطقة، وهو الذي تولّى أيضاً في صيف 1990 شرعنة الغزو الأميركي للعالم العربي بحجّة اجتياح صدّام حسين للكويت.

لم يكن ياسر عرفات على خلاف مع فلسفة أنور السادات بأن «99% من أوراق الحلّ هي في يد أميركا». الاتحاد السوفياتي لم يكن يتنطّح للدفاع عن حلفائه ضد مسيرة السلام الأميركيّة. على العكس، كان يحثّ كل الأطراف العربيّة على تقديم المزيد من التنازلات، وكان كل ما يودّه هو إشراكه في عمليّة السلام الأميركيّة. لهذا، فإن عرفات لم يسعَ يوماً إلى سلك خط مفاوضات خارج نطاق العمليّة الأميركيّة. وإصراره على التعويل على "الحَكَم" الأميركي، هو الذي وضع خاتمة لأحلامه، وانتهى به في زنزانة رحيبة في «المقاطعة»، ما سمح للعدوّ باغتياله متى شاء (وبإذن أميركي على الغالب). وكان عرفات يخوض مفاوضات غير مباشرة، ويبعث بالرسائل، عبر عدد كبير من الوسطاء. كان لا يحصر مفاوضاته، أو توسّلاته من أجل بدء مفاوضات مع أميركا، بطرف واحد. كان كل مَن يصل مَن أميركا ويحظى بلقاء عرفات، يحمل منه رسالة إلى الإدارة الأميركيّة. وهذا جرى على مرّ سنوات، من إدارة كارتر حتى وفاة عرفات في عهد بوش I. وهناك من زاد ثروته من خلال حمله رسائل، أو وعده بحمل رسائل، من عرفات إلى الإدارة الأميركيّة. وكان عرفات يموّل دكاكين مختلفة لعلّ واحدة منها تفي بالغرض. ومفاوضات أوسلو كانت رحلة السعي نحو واشنطن عن طريق تل أبيب. أدرك عرفات أن واشنطن لن تقوم بأي جهد للحصول على تنازلات من إسرائيل لمصلحة فلسطين، فاختار أن يقدّم تنازلاته مباشرة لإسرائيل لعلمه بأن ذلك يقرّبه من الراعي الأميركي.

لكن عرفات لم يكن جديّاً، لا في القتال والمقاومة ولا في الدبلوماسيّة. كان عرفات يظنّ بأنه يستطيع أن يلعب كالبهلوان على عدد من الحبال المتشعّبة. لكن عرفات خلافاً لما قيل فيه، بقي ثابتاً منذ أوائل السبعينيات على التزامه بخيار الدبلوماسية لتحقيق دولة فلسطينيّة ـ مسخ على أرض الضفّة والقطاع. ولم يكن ترويج الجبهة الديموقراطيّة المُبكّر للفكرة إلا بإيعاز من عرفات. الكفاح المسلّح كان عند عرفات – خلافاً لميثاق المنظمة في عام 1968، وخلافاً لبرنامج حركة "فتح" – تكتيكاً يهدف إلى تحريك الوضع في المنطقة من أجل جذب الحلّ الأميركي. وكان عرفات يحاول جاهداً جذب الالتفات الأميركي إليه – تماماً مثل السادات قبل وبعد حرب أكتوبر التي لم يردْها إلا "تحريكيّة".

مناسبة العودة إلى صيف 1982 هي صدور كتاب جديد لعدلي الهوّاري بعنوان «بيروت 1982: اليوم «ي»»، عن «الاتصالات الفلسطينيّة الأميركيّة أثناء الحصار الإسرائيلي لبيروت». وقد جمع المؤلّف عدداً مهماً من الوثائق السريّة التي مرّت أمامه في صيف 1982 في واشنطن عبر جهاز الـ«تلكس» في مكتب «المجلس الوطني في أميركا الشمالية». وصوّر الهوّاري تلك الوثائق وترجمها إلى العربيّة في هذا الكتاب المهم. والملاحظة العامّة عن الوثائق وعن نمط الأسلوب العرفاتي في المفاوضات هي: 1) كما يورد المؤلّف، فالمراسلات تظهر أن عرفات كان يقول للأميركيّين ما لا يعلنه بالعربيّة لشعبه. 2) بالرغم من أن عرفات سياسيّ بارع وتكتيكيّ ماهر بالنسبة إلى خصومه في منظمّة التحرير أو في الساحة العربيّة، فإنه كان مفاوضاً فاشلاً، لا يقدّم تنازلاً إلا ويُفرَض عليه تنازل آخر. في كل مسيرة مفاوضات عرفات عبر العقود، قدَّم من دون مقابل، ولم يفرض شروطاً كان بعض الأميركيّين من خصومه يظنّون بأنه كان بإمكانه فرضها (مثل مسألة المستوطنات التي لم يلحظها مفاوضو أوسلو الفلسطينيّين، معتمدين على حسن النيّة الإسرائيليّة). 3) من بديهيّات التفاوض، التفاوض من موقع القوّة. وهذا الشرط أهمله المفاوضون العرب – المتزمّتون منهم والمتساهلون. إن قبول جمال عبد الناصر بمبادرة روجرز حدث في زمن كان فيه الموقف المصري (والعربي) في أضعف مرحلة منذ اندلاع حرب فلسطين. لو أن عبد الناصر أراد الاعتماد على التوسّط الأميركي، لكان حصل على أكثر لو أنه فرض شروطاً أعلى قبل الهزيمة. الهزيمة هي أسوأ محطّة لخوض التفاوض مع العدوّ. انتظر الفيتناميّون أضعف لحظة للغازي الأميركي كي يدخلوا في مفاوضات باريس. لكن ياسر عرفات لم يدخل في مفاوضات اختياراً، وإنما دخلها كلّها مُكرهاً في مواقع ضعف عسكري وسياسي، ما سمح للعدوّ بفرض شروطه، وكانت قدرة عرفات على المساومة ضعيفة للغاية. إن دخول ياسر عرفات المفاوضات مع العدوّ (عبر أميركا) في زمن الحصار كان الخطأ المدمِّر الذي قاده إلى أوسلو ومترتّباتها. إن كل المفاوضات السياسيّة المصيريّة التي دخلها عرفات، أتت بسبب شعوره بأنه محاصَر وأن الطرق الأخرى مسدودة أمامه. لكن عندما كان عرفات في مراحل القوّة العسكريّة والسياسيّة (بعد معركة «الكرامة»، أو بعد تثبيت المقاومة العسكريّة في لبنان في عام 1975)، كان يتحاشى المفاوضات لظنّه أن الآتي أفضل. إن شروط التفاوض لم تكن متوفّرة حتى في مراحل قوّة المقاومة لأن بناء المقاومة العسكريّة والثورة الفلسطينيّة لم يكن مكتملاً بعد. 4) لم يكن عرفات في مفاوضاته مع الأميركيّين يريد أن يصدّق بأنهم لن يكونوا حياديّين، بالرغم من صراحة (وصفاقة) المفاوض الأميركي.

كانت الحكومة الأميركيّة تملي على عرفات شروطاً إسرائيلية وتسوّقها له على انها شروط أميركيّة

> لم يكن هناك من عداء أميركي ليثني ياسر عرفات عن المضيّ في التفاوض

كان عرفات دوماً يظنّ بأنه بمرونته ولطفه واعتداله يستطيع أن يُغيِّر الموقف الأميركي الداعم لإسرائيل. كانت المفاوضات عند عرفات – وعند الكثير من المفاوضين الفلسطينيّين، مثل حنان عشراوي وصائب عريقات ونبيل شعث وأحمد القريع – لعبة مناظرة، كأن الحجّة القويّة وحدها والصياغة البارعة كفيلتان بتغيير الموقف الأميركي. 5) لم يكن عرفات منسجماً مع نفسه في طروحاته في المفاوضات، فكان يرسل إشارة ما للحزب الديموقراطي، وأخرى مختلفة للحزب الجمهوري، متمنيّاً أن يصيب إحداهما فيكسب. كانت المفاوضات عنده مثل لعبة النرد. 6) أساء إلى المفاوضات الفلسطينيّة مع الحكومة الأميركيّة، عددٌ من الأطراف، بينهم بعض الأساتذة الفلسطينيّين المعروفين في أميركا، والذين كان يحثّون عرفات على الاعتراف بإسرائيل وأن ذلك من شأنه تغيير الموقف الأميركي. كما أن المستعربين المتقاعدين بالغوا أيضاً في تقييم أثر التنازلات العرفاتيّة على عمليّة صنع القرار الأميركي. وكان هؤلاء محكومين إما بحسن النيّة أو بصهيونيّة النيّة. 7) كان النظام السعودي مسؤولاً بدرجة كبيرة عن حثّ عرفات على تقديم التنازلات إلى الحكومة الأميركيّة. والوثائق هنا تشير إلى ذلك بوضوح.

كانت المقاومة الفلسطينيّة في صيف 1982 تخوض أصعب مرحلة في تاريخها، والتي أدّت في نتائجها إلى وأد حركة المقاومة الفلسطينيّة بعد انطلاقتها الكبيرة في منتصف الستينيّات. وفي الوقت الذي كانت فيه قوّات الاحتلال الإسرائيلي تطبق على بيروت الغربيّة، اختار ياسر عرفات التفاوض مع راعي الاحتلال الأميركي على شروط مغادرة المقاومة لبيروت. لماذا لم يختر طرفاً أقل انحيازاً إلى العدوّ؟ ولماذا – إذا كان يريد أن يغادر – غادر عبر اتفاق سرّي مع الأميركيّين؟ ألم يكن بمستطاعه الإصرار على رعاية من الأمم المتحدة لظروف مغادرة قوّات المقاومة؟ أي أن عرفات أصرّ على أن يدفع ثمنَين لمغادرته: ثمناً للاحتلال الإسرائيلي وآخر للراعي الأميركي. يعترف هاني الحسن في شهادة له بأن القيادة العرفاتيّة تجاهلت مبادرة فرنسيّة تودّداً للإدارة الأميركيّة II. وكانت الحكومة الأميركيّة تنتدب الحكومة اللبنانيّة والجيش اللبناني الانعزالي (الذي كان خاضعاً بالكامل لسلطة بشير الجميّل وحلفائه الإسرائيليّين) كي يلعب دور ضابط الارتباط مع عرفات. وقبل عرفات بذلك من دون نقاش، كما يظهر في الوثائق (راجع ص. 24، مثلاً). ولعب صديق الإسرائيليّين جوني عبده دور الوسيط – وهو الذي حوّل منزله في اليرزة إلى بيت مضافة لأرييل شارون. وكانت الحكومة الأميركيّة تملي على عرفات شروطاً إسرائيليّة وتسوّقها له على أنها شروط أميركيّة. لماذا مثلاً رفضت الحكومة الأميركيّة أن تغادر منظمة التحرير عبر ميناء طرابلس وليس عبر ميناء بيروت؟ أليس من أجل تسهيل مهمّة جيش العدوّ في مراقبة عمليّة المغادرة في منطقة كان يحتفظ بقوّات احتلال فيها؟ ولماذا لم يصرّ عرفات على استعمال ميناء طرابلس الذي كان بعيداً عن المراقبة الإسرائيليّة؟

أما في الموضوع الأخطر، أي مجزرة صبرا وشاتيلا، فإن ياسر عرفات ارتكب خطيئة مميتة في تسليم مقدّرات أمن المخيّمات الفلسطينيّة بعد مغادرة حماتها من مقاتلي الثورة الفلسطينيّة إلى الحكومة الأميركيّة – أي الحكومة التي عادت قضيّة الشعب الفلسطيني منذ إنشاء دولة إسرائيل. والمُشين أن رسالة من الحكومة الأميركيّة في 6 آب 1982 (ص. 35) ذكرت ضمان «المخيّمات في بيروت» (لماذا فقط في بيروت) بطريقة جد عرضيّة. ويبدو أن المفاوض الفلسطيني لم يعر القضيّة أهميّة كبيرة: وريغان كان قد وصف في لقائه مع سعود الفيصل وعبد الحليم خدّام الفلسطينيّين في بيروت بأنهم «إرهابيّون» فقط. وعندما وقعت المجازر، تملّصت الحكومة الأميركيّة من المسؤوليّة بطريقة مقزّزة III، فهي قالت إنها في ضمانها لأمن المخيّمات اعتمدت على ضمان من بشير الجميّل. أي أن منظمّة التحرير الفلسطينيّة اعتمدت على ضمانات حكومة عدوّة للشعب الفلسطيني (والتي لم تكن تعترف بمنظمّة التحرير)، والتي اعتمدت بدورها على عدوّ الشعب الفلسطيني الألدّ في لبنان، أي بشير الجميّل، كي يحمي المخيّمات الفلسطينيّة في بيروت. إذ قال نيكولاس فيليوتس لوفد فلسطيني أميركي زار وزارة الخارجيّة الأميركيّة في 13 تشرين الثاني من عام 1982، إن الحكومة الأميركيّة ترفض أي إيحاءات عن مسؤوليّة ولو جزئيّة لها بالنسبة إلى صبرا وشاتيلا لأن ضماناتها «كانت مبنيّة على تأكيدات تلقّتها الولايات المتحدة من رجل واحد: بشير الجميّل» (ص. 81). وكما يعلّق المؤلّف هواري، فإن عرفات (الذي فاوض باعترافه على مدى عشرة أيّام على «كل تفاصيل الخروج بما في ذلك المراسم حسب الأصول البروتوكوليّة الدوليّة، كيف يؤدّي لي حرس الشرف، من غير قوّاتي، التحيّة العسكريّة، ومرافقة بعثة عسكريّة يونانيّة بقيادة جنرال لموكبي» IV)، لم يفاوض على تفاصيل وإجراءات الحماية للمخيّمات الفلسطينيّة في لبنان. والتملّص الأميركي من المسؤوليّة بات أقل صدقيّة بعد نشر كتاب جورج فريحة عن بشير الجميّل، والذي ترد فيه خطّة إسرائيليّة ـ قوّاتيّة مسبقة لاقتحام المخيّمات الفلسطينيّة V.

ويتضمّن الكتاب رسالة رسميّة من خالد الحسن إلى ياسر عرفات (في 19 تمّوز) يحثّه فيها على تقديم التنازلات للأميركيّين. والرسالة أتت بعد لقاء بين الحسن (الذي لعب دوراً مؤثّراً في صنع القرار العرفاتي عبر سنين طويلة: لم يخالف عرفات مشيئته إلا في عام 1990، عندما رفض عرفات دعم الموقف الخليجي ضد صدّام). VI خالد الحسن يقول لعرفات إن النصر الفلسطيني بعد هزيمة بيروت ممكن، وإن تحقيقه سيجري في الكونغرس والبيت الأبيض. (ص. 59) ويقترح الحسن على عرفات «سياسة جديدة»، كأن النصر السياسي ممكن بعد هزيمة عسكريّة VII. ولا يتردّد خالد الحسن بأن يحذّر عرفات من أن هناك فرصة لمنظمة التحرير كي تشارك في صنع السياسة الأميركيّة في الشرق الأوسط. أي أن منظمّة التحرير تستطيع أن تفعل ما لم تفعله أي من الحكومات العربيّة المطيعة للحكومة الأميركيّة. ويشدّد الحسن على ضرورة إصدار موقف واضح بدعم القرار 242 (الذي لم يذكر الشعب الفلسطيني بكلمة واحدة)، ويطالب بحوار مباشر مع الحكومة الأميركيّة، كأن عرفات هو الذي كان يمانع في الحوار المباشر مع الحكومة الأميركيّة. ويختم الحسن رسالته بالإشارة إلى أن سعود الفيصل يؤيّد «هذا التفكير». لكن

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة اخبار بيروت
■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper